

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[13] هذه المعاني. وفي الآية التّالية يخاطب المنكرين للقرآن والمعرضين عنه، فيقول:
(أفنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين)؟ صحيح أنكم لم تألوا جهداً في مخالفتكم للحق وعدائه، ووصلتم في المخالفة إلى حدّ الإفراط والإسراف، إلا أن رحمة القرآن سبحانه واسعة بحدّ لا تشكل هذه الأعمال المناوئة حاجزاً في طريقها، ونظراً لنزولها باستمرار هذا الكتاب السماوي الذي يوقظكم، وآياته التي تبعث الحياة فيكم، حتى تهتزّ القلوب التي لها أدنى حظ من الإستعداد وتثوب إلى طريق الحقّ، وهذا هو مقام رحمة القرآن العامّة، أي: رحمانيته التي تشمل العدوّ والصديق، والمؤمن والكافر. جملة (أفنضرب عنكم) جاءت هنا بمعنى: أفنضرب عنكم، لأنّ الراكب إذا أراد أن يحوّل دابّته إلى طريق آخر، فإنّه يحوّل به بضربه بالسوط أو بشيء آخر، ولذلك فإنّ كلمة الضرب تستعمل في مثل هذه الموارد بدلاً من الصرف(1). "الصفح" في الأصل بمعنى جانب الشيء وطرفه، ويأتي أيضاً بمعنى العرض والسعة، وهو في الآية بالمعنى الأوّل، أي: أنحول عنكم هذا القرآن الذي هو أساس التذكير إلى جانب وطرف آخر؟ "المسرف" من الإسراف، وهو تجاوز الحدّ، إشارة إلى أنّ المشركين وأعداء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقفوا عند حدّ في خلافهم وعدائهم مطلقاً. ثمّ يقول في عبارة قصيرة كشاهد على ما قيل، وتسليّةً لخاطر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وتهديداً للمنكرين المعاندين: (وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين * وما يأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزئون). إنّ هذه المخالفات وأنواع السخرية لم تكن لتمنع لطف القرآن ورحمته أبداً، فإنّها فيض متواصل من الأزل إلى الأبد، ووجوده يعمّ عطاؤه كلّ العباد، بل إنّ سبحانه قد _____ 1 - مجمع البيان، ذيل الآية مورد

البحث .